محاضرة بعنوان

حافظ على عينيك

لفضيلة الشيخ

د. محمد هشام طاهري

حفظه الله

للاستفسار

الرجال : +965 50110130 www.DRABOSALAHM.com

النساء : +965 96537184 @DrAboSalahM

بسم الله الرحمن الرحيم

حافظ علىٰ عينيك

نصائح ذهبية للمحافظة علىٰ العين

الحمد لله الذي أسبغنا علينا النعم، أحمده سبحانه كم دفعنا عنا النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله وسلم عليه، وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ دربه، إلىٰ يوم القيامة، وبعدُ؛

فهذه المحاضرة هي بعنوان حافظ علىٰ عينك أو نصائح ذهبية للمحافظة علىٰ العين إن هذا العين اسم جنس يطلق علىٰ الواحد، وعلىٰ الإثنين وعلىٰ الأكثر، وهو في الإنسان والحيوان آلة الإبصار من صنع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ البديع الذي أحسن كل شيء خلقه؛ **يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: (انظر إلىٰ تَيكَ العينين، ما أُودِعَتاه من الملاحة، والحلاوة، والسواد في ذلك البياض، وحسن شكلهما، وجَمْعهما لمحاسن الوجه...لا تملك إلا أن تقول: (تبارك الله أحسنُ الخالقين). وهذا في الشكل والصورة، فكيف بالمنافع العظيمة المترتبة علىٰ وجود العين؟

فمن عظيم نعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علينا وعلىٰ البشرية جمعاء أن جعل الإنسان سميعًا بصيرا كان يمكن أن يخلقه أصم أبكم كما أوجد بعض البشر؛ فالبصر من النعم العظيمة التي لا تقدر بثمنٍ من أثمان الدنيا، ولو قيل لأعمىٰ البصر كم

تدفع لترىٰ الدنيا وما فيها، وتقدر علىٰ أمور معاشك من نظر والإبصار؟ لبذل في سبيل ذلك الغالي والنفيس؛ بل وربما بذل في سبيل ذلك بعض أعضائه وأجزائه؛ لما يرىٰ من عظمة نعمة البصر، لأنه -وكل عاقل- يرىٰ أن البصر من أعظم النعم، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩﴾ [فاطر: ١٩]

والآية وإن كان المقصود منها أعمىٰ البصيرة ومبصر البصيرة، لكن فيها بيان الفرق الشاسع بين من أنعم الله عليه فأبصر، وبين من لم يعطه الله فضل الإبصار لا ريب أن نعم الله كلها عظيمة، أعظمها بعد الإيمان والإسلام، -من حيث النعم الفردية- نعمة العقلِ، ثم نعمة البصرِ، ثم نعمة السمع، فنعمة اللسان، قال الله تعالىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد: ٧-١٠]، يقول العلامة بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فسعادة الإنسان بِصِحَّة هَذِه الاعضاء الثَّلَاثَة وشقاوته بفسادها العينان، والسمع، واللسان، قال بن عباس رضي الله عنهما: يسْأَل الله الْعباد فِيمَا استعملوا هَذِه الثَّلَاثَة؟ السّمع وَالْبَصَر والفؤاد فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعطىٰ العَبْد السّمع ليسمع بِهِ، أوامر ربه ونواهيه وعهوده؛ وَأعطاه الْقلب ليعقلها ويفقهها وَالْبَصَر ليرىٰ آيَاته فيستدل بهَا علىٰ وحدانية الله وربوبيته فالمقصود بإعطائه هَذِه الآلات القلب والعينان والسمع؛ المقصود بإعطائه هَذِه الآلات الْعلم وثمرته وَمُقْتَضَاهُ).

يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ٢]، ولهذا نجد أن الذي لا يسمع أو الذي لا يبصر خف عنه الابتلاء من حيث الأحكام الشرعية؛ ومن كان سميعًا بصيرًا شُدِدَ عليه في الابتلاء، ألا ترىٰ أن الله يقول: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧] لماذا خفف عنه الابتلاء؟ لعدم كمال النعم

ويقول جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١]

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾

يمكن لأحد من الناس يقول عيني أذني سمعي بصري مسكين هذه إضافةٌ مكانية أنت تقول: عيني لأنها بوجهك تقول: سمعي لأنها في رأسك لكن والله ما تملكها وأكبر دليلٍ علىٰ ذلك أنها إذا ضعفت ما استطعت أن تقويها وإذا ذهب نورها ما استطعت أن تضيئها وهذا معنىٰ ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾

ويقول سبحانه في سورة النحل: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: ٧٨]

ويقول في سورة المؤمنون: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ [المؤمنون: ٧٨]

يقول العلامة بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وتأمل كيفية خلق الرأس تأمل في نفسك في صورتك وكثرة ما فيه من العظام حتىٰ قيل إنها خمسةٌ وخمسون عظما في رأسك خمسة وخمسين قطعة عظام رُكبت بعضها إلىٰ بعض سبحان الله الخالق مختلفة الأشكال والمقادير والمنافع كيف ركبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ البدن وجعله عاليًا؟ حط الرأس أعلىٰ مكان عندك علو الراكب علىٰ مركوبه ولما كان عاليًا علىٰ البدن جعل فيه الحواس الخمس وآلات الإدراك كلها من السمعِ والبصرِ والشم والذوق واللمس وجعل حاسة البصر في مقدمه ليكون كالطليعةِ والحرسِ والكاشفِ للبدن وركب كل عينٍ من سبع طبقات إيهٍ يا بن آدم تستخدم العين في الحرام ولا تدري كيف رُكبت! إذا أراد الإنسان أن يتعجب فليتعجب من أولئك زبالات المجتمعات من الملاحدة الذين يعجزون عن أن يصنعوا مثل هذا العين وهم عقلاء ثم يقولون إن في الإنسانِ جاء بفعل الطبيعة التي (٤٦:١٠) فسبحان من يطمس علىٰ البصائر، يقول: وركب كل عينٍ من سبع طبقاتٍ لكل طبقةٍ وصفٌ مخصوصٌ ومقدارٌ مخصوصٌ ومنفعةٌ مخصوصة لو فقدت طبقةٌ من تلك الطبقات السبع أو زالت عن هيئتها وموضعها لتعطلت العين عن الإبصار ثم أركز سبحانه داخل تلك الطبقات السبع خلقًا عجيبًا وهو إنسان العين الذي نسميه اللي هو بؤبؤ العين بقدر العدسةِ يبصر به ما بين المشرق والمغرب سبحان الله شيء صغير يفتحه يرىٰ المشرق بالكامل ثم يلتفت إلىٰ المغرب فيراها بالكامل يرىٰ به ما بين المشرق والمغرب والأرض والسماء وجعله من العين بمنزلة القلب من الأعضاء فهو ملكها وتلك الطبقات والأجفان والأهداب خدمٌ له وحُجَّابٌ وحُّراس فتبارك الله أحسن الخالقين فأنظر كيف

حسن شكل العينين وهيئتها ومقدارها ثم جملهما بالأجفان غطاءً لهما وستراً وحفظًا وزينة فهما يتلقيان عن العين الأذىٰ والقذىٰ والغبار ويكنانهما من البارد المؤذي والحار المؤذي ثم غرس في أطراف تلك الأجفان الأهداب جمالًا وزينةً ولمنافع أخر ورأىٰ الجمال والزينة ثم أودعهما ذلك النور الباصر والضوء الباهر الذي يخرق ما بين السماء والأرض ثم يخرق السماء مجاوزًا لرؤية ما فوقها من الكواكب وقد أودع سبحانه هذا السر العجيب في هذا المقدار الصغير بحيث تنطبع فيه الصورة السماوات من اتساع أكنافها وتباعد أقطارها" أنتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولما كان نعمة العين عظيمة كان في فقدها للكلية شرعًا الدية كاملة وفي فقد أحد العينين نصف الدية شرعًا قال تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٤٥]

فتأمل بدأ بالنفس اللي هي الروح الموت والحياة وثنىٰ بالعين وإذا تقرر أن العين نعمةٌ عظيمة فينبغي أن نحافظ علىٰ هذه النعمة، أما أهل الدنيا فهم يهتمون بالمحافظة علىٰ العين لأجل بقاء نضارتها وجمالها وبعدها عن التجاعيد ونحو ذلك وذلك بمختلف أنواع الأطعمة والأدوية وبعدم النظر به إلىٰ الهاتف في الظلام وغير ذلك من الأسباب الظاهرة وليس حديثنا عن هذا وإنما حديثنا عما يُحافظ به علىٰ العين من التأثيرات التي تكون علىٰ نور بصيرته وتؤثر علىٰ صفاء دركه وعلىٰ قوة رؤيته للحقائق والمألات وكيفية الاستفادة من العين في الدنيا لأجل الآخرة وهذا لا يتأتىٰ العلم به إلا بالنظر إلىٰ النصوص الشرعية فإذا قيل: كيف نحافظ علىٰ العينين؟

ما هي الخطوات الذهبية للحفاظ علىٰ العين؟

أي من الناحية الشرعية فالجواب أن ذلك يكون بما يأتي: جمعت ما يقرب من ثلاثين أمرًا بها نحافظ علىٰ أعيننا:

الأول: وهو واجبٌ علىٰ الجميع شكر الله تعالىٰ علىٰ هذه النعم فإن النِعم تدوم بالشكر وتقر وتزداد ومن شكر الله تعالىٰ صرف النعمة فيما يرضيه واجتناب ما يسخطه ويغضبه وهذا الشكر من أعظم أسباب حفظ العين وحمايته وبقائه قال الله تعالىٰ: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور: ٤٤]

الله هو المقلب فأعتبر ففي أي لحظة ربما تُغلق فتفتح ولا ترىٰ وقال سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣﴾ [الملك: ٢٣]

قال رجلٌ لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبىٰ حازم؟ فقال: إن رأيت بهما خيرًا أعلنته وإن رأيت بهما شرًا سترته وهذا تفسيرٌ لبعض ما يؤدىٰ به شكر العين.

ثانيًا: للمحافظة علىٰ العينين امنعه من النظر إلىٰ الممتعين نظرة استعلاءٍ وطلب معية إياك أن تطلق العنان للعينين لينظر إلىٰ المتمتعين المترفين قال الله لنبيه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: ٢٨]

وقال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [طه: ١٣١]

وهذه المحافظةُ للعين سببٌ للمحافظة القلب عن التعلق بالدنيا وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣١-١٣٢]

ثالثًا: أن تجعل قرة عينك بما حباك الله اجعل قرة عينك بما أعطاك الله ولا تطلق العنان لها لما عند الناس ولا تمد عينيك إلىٰ ما ليس عندك قال الله جَلَّوَعَلَا لمريم وهي في كربٍ شديد في مصيبةٍ عظيمة: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ﴾ [مريم: ٢٦]

يا سبحان الله أمر عجيب ولهذا كان من دعاء الصالحين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] وفي قراءة قرات أعين.

رابعًا: لتحافظ علىٰ عينيك أجري الدمع فيه بمعرفة الحق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ابكي عينان لا تمسهما النار عينٌ بكت من خشية الله وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله، وسبعةٌ يظلهم الله في ظله، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ﴾ [المائدة: ٨٣]

أنتم تعلمون إن الإنسان إذا توضئ وتمضمض واستنشق خرجت خطايا فمه وأنفه طيب لماذا لا يدخل الماء في عينيه لتخرج خطايا العينين؟ قال بن القيم: وإنما لم يجب غسل باطن العينين في الوضوء والغسل لأنه يورث العمىٰ فسقط للمشقة ووجب غسل الفم والأنف ليُسري ذلك ولتخرج خطاياهما طيب وخطايا العين؟ خطايا العين تخرج بالدمع.

الأمر الخامس: الرابع إجراء الدمع الخامس إفاضة الدمع منه عند فوات الطاعات وعدم المقدرة علىٰ المسابقات إلىٰ الخيرات يا مسيكين إذا شفت الناس يتسابقون إلىٰ الخيرات وأنت مكانك راوع ابكي كثيرًا قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢]

فقهاء هؤلاء بكوا لفوات الخيرات عليهم وعدم مقدرتهم علىٰ المسابقات مع أن ذلك لم يكن بيدهم لفقرهم فكيف بمن تفوته السباقات إلىٰ الخيرات والمسارعات إلىٰ الطاعات بسببٍ منه فلا هو أول من يأتي إلىٰ الصفِ ولا هو آخر من يخرج من المسجد ولا هو أكثر الناس ختمةً ولا هو أكثر الناس ذكرًا.

سادسًا: حافظ علىٰ عينيك بإدامة النظر بهما في آيات الله تعالىٰ المتلوة وفي المشاهدات المرئية الآفاقية والنفسية فإن ذلك من أعظم ما تحافظ به علىٰ بصيرة عينيك قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ [الكهف: ١٠٠-١٠١]

ما كانوا يشغلون العينين في النظر إلىٰ الآيات المتلوة ولا في التأمل في الآيات المشاهدة الآفاقية والنفسية والأرضية وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴿٢﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٢-٤]

وهذا في التأمل في الآيات الآفاقية وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور: ٤٤]

وقال: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾ [الحشر: ٢]

والأبصار: قد يُطلق ويراد به أثر نظر العين وقد يُطلق ويراد به العلم.

الأمر السابع: للمحافظة علىٰ عينيك أستعمل البصر فيما ينفع البشر وإلا فإنها تُصاب بعمىٰ البصيرة وكم وكم وكم بل أكثر أهل الأرض عندهم أعين لكنهم مصابون بعمىٰ البصيرة: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: ٤٦]

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة: ٧]

وهذا مرضٌ خفيٌ إذا جاءت الغشاوة علىٰ الأبصار فلا يرىٰ البصر إلا ما تهواه القلب ترىٰ الحقائق مخفية والبينات مغشية مستورة تمر العين علىٰ تلكم الدلائل والبراهين ولا يراها العين.

ثامنًا: للمحافظة علىٰ العين لابد من البعد عن الحزن فإن الله عَزَّوَجَلَّ لم يأمرنا بالحزن، بل ونهانا عن الحزن قال: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ﴾ [النحل: ١٢٧]

وأخبر جَلَّوَعَلَا عن يعقوب عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ قال: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف: ٨٤]

فإياك والحزن علام تحزن! ومقادير الله جاريه.

الأمر التاسع: اجتناب الخوف الشديد فإنه قد يؤدي إلىٰ دوران العين كما يحصل للميت فربما يُذهب البصر من شدة الخوف قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]

وقال سبحانه: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب: ١٠]

الأمر العاشر: القيام بالعدل سببٌ لقرة العين والظلم سببٌ لقسوة العين سببٌ لسخط العين قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [الأحزاب: ٥١]

وقال بعض العلماء: إن هذه الآية ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ فيها دلالة علىٰ أن العدل ينبغي أن تقر به عين المؤمن والعدل في حكم الله وفي قدره في حكم الله يشاهده العلماء وفي قدر الله يشاهده الفقهاء.

الأمر الحادي عشر: عدم النظر إلىٰ البرق والخوف من العاقبة التي قد تصيب العين في البرق قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤٣]

وقال سبحانه: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢٠]

﴿يَكَادُ﴾: بمعنىٰ يقرب ويوشك ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الأمر الثاني عشر: للمحافظة علىٰ العينين لابد من الحذر من ازدراء الناس بالعين إياك وازدراء الناس لرؤيتهم علىٰ أحوال مزريةٍ دنيوية وسل الله العافية قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١]

الأمر الثالث عشر: اجتناب الذنوب التي تكون من جهة العين ومنها النظر في المحرمات وليتذكر العبد أن معطي العين قادرٌ علىٰ أخذه في أي لحظةٍ شاء قال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦]

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٧]

وخرج النبي ﷺ في ليلة الهجرة وبيته محاصرٌ من كفار مكة وهو يتلوا قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]

فما رأوه صلوات ربي وسلامه عليه.

الأمر الرابع عشر: للمحافظة علىٰ العين لابد من دوام مراقبة الله تعالىٰ في البصر واليقين بأن الله تعالىٰ عنده علمٌ بما يقع منك بعينك ولو كان ذلك منك خلسةً وخيفة قال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]

وقال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣]

الأمر الخامس عشر: العلم بأن لذة العين تامة لا تتم في الدنيا الفانية فمهما تلذذت فإنها تطلب المزيد ولا قرار لها فأغلق عليها الباب خير لك ولنستيقن أن اللذة التامة للعين وغيرها من الجوارح لا تكون إلا في الآخرة فلا تطلق لعينك العنان قال الله تعالىٰ مبينًا القرار للأعين في دار الأبرار: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ [الزخرف: ٧١]

تأمل البلاغة في هذه الآية: ﴿وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾ وكأن العين صار عنده إحساس لذة لما بلغ من الكمال في قرة العين ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾

الأمر السادس عشر: منع العين عن الفاتنات والجميلات لتنال في الدنيا والآخرة المكرمات ومن منع نظره من بنات الطين وإن كن جميلات رزقن الحور العين في الجنات قال الله تعالىٰ: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤﴾ [الدخان: ٥٤]

فمن تمتع في الدنيا مُنع وتقيد في الآخرة ومن تقيد في الدنيا نال التمتع ولم يُحد له حدٌ في الآخرة والجزاء من جنس العمل ولهذا قال ﷺ: من أحتسىٰ الخمر في الدنيا منعه يوم القيامة.

السابع عشر: إلزام العين حدود الله تعالىٰ فإن الإنسان ينبغي عليه أن يتذكر أنه تحت نظر واهب العين ومالكه إذا أنت تبصر فاللي أعطاك البصر يبصرك قال الله

تعالىٰ في سورة النور: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧]

لماذا ألزموا أنفسهم حدود الله والطاعات؟ ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾

الأمر الثامن عشر: غض البصر من أعظم ما يُحفظ به الإنسان عينه قال الله تعالىٰ في سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ [النور: ٣٠-٣١]

آية غض البصر وردت في سورة النور بعد آية النور دل علىٰ أن غض البصر نورٌ في البصر ونورٌ في البصيرة ونورٌ في العقل ونورٌ في النفس ونورٌ في القبر ونورٌ علىٰ الصراط ونورٌ في الجنات، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله كتب علىٰ بن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنىٰ العينين النظر أنتبه إذًا من هذا وزنىٰ اللسان النطق والنفس تمنىٰ وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، قال العلامة بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما كان مبدأ ذلك من قِبل البصر جُعل الأمر بغضه مقدمًا علىٰ حِفظ الفرج فإن الحوادث مبدأها من البصر كما أن معظم النار من مستصغر الشرر فتكون نظرةٌ ثم تكون خطرةٌ ثم خطوةٌ ثم خطيئةٌ هي خاءات الخطيئة ولهذا قيل من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات من حفظ هذه الأربع

أحرز دينه حافظت علىٰ دينك ما هي؟ لحظات العين، خطرات الفكر والعقل، ولفظات اللسان، وخطوات الأقدام،

ولهذا قيل من حفظ هذه الأربع أحرز دينه اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه علىٰ هذه الأربع ويلازم الرباط علىٰ ثبورها فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علا تتبيرا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأكثر ما تدخل المعاصي علىٰ العبد من هذه الأبواب الأربعة وحديثنا عن النظرة واللحظة قال: فهي رائد الشهوة ورسولها وحفظها أصل حفظ الفرج فمن أطلق بصره أورد نفسه موارد المهلكات، وقال النبي ﷺ: لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولىٰ وليست لك الأخرىٰ" [رواه أبو داوود والترمذي بإسنادٍ صحيح من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ]

وفي المسند من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: النظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، سهم مسموم يعني دخل بدنك راح يسمك يخرب نفسك نفسيتك عقلك دينك، النظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة لله أورث الله قلبه حلاوةً إلىٰ يوم يلقاه.

قال الشاعر: كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر كم نظرةٍ بلغت في قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر والعبد ما دام ذا طرف يقلبه في أعين العين موقوفٌ علىٰ الخطر يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالضرر.

قال العلامة بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن آفات النظر أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرىٰ العبد ما ليس قادرًا عليه ولا صابرًا عنه وهذا من أعظم العذاب أن ترىٰ ما لا صبر لك عن بعضه ولا قدرة علىٰ بعضه قال الشاعر: وكنت متىٰ أرسلت طرفك رائدًا بقلبك يومًا أتعبتك المناظر رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أن صابرٌ.

وأعجب من ذلك أن النظرة تجرح القلب جرحًا فيتبعها جرحٌ علىٰ جرح ثم لا يمنعه ألم الجراحة من استدعاء تكرارها ما زلت تتبع نظرةً في نظرةٍ في إثر كل مليحةً ومليحِ وتظن ذاك دواء جرحك وهو في التحقيق تجريحٌ علىٰ تجريحِ فذبحت طرفك باللحاظ وبالبكىٰ فالقلب منك ذبيحٌ أي ذبيحِ، وقد قيل إن حبس اللحظات أيسر من دوام الحسرات.

الأمر التاسع عشر: مما تحافظ به علىٰ عينك الخوف علىٰ العين من الطبع ومن خاف سلم قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل: ١٠٧-١٠٩]

العشرون: عدم رؤية الكفار والمشركين بنظرةٍ تفاخمية ونظرةٍ تعاظمية بل المنبغىٰ أنهم هم الذين أن ينظروا إلينا نظر مثلي رأي العين كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣]

الحادي والعشرون: العلم بأن الله تعالىٰ يتصرف في الأعين كيف يشاء قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤]

الأمر الثاني والعشرون: الحذر من زيغ العين وروغان البصر والحذر مما قد يسحره قال الله تعالىٰ عن سحرة فرعون: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦]

الثالث والعشرون: العلم بأن عماية البصيرة سببٌ لعماية البصر ولو كان صاحبها يرىٰ ويبصر قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٤]

الرابع والعشرون: ترك الحسد والبعد عن إصابة الناس بالعين ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا قال الله تعالىٰ في صفات الكفار: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم: ٥١-٥٢]

ولهذا في الأمثال السائرة عند العرب أن الحاسد لابد وأن يحسد نفسه يومًا ما.

الخامس والعشرون: البعد عن تعطيل عمل العين والحرص علىٰ استعماله في إبصار الحق وإلا فإن ذلك مما يتلف مقصد وجوده ويتلف أثر فائدته قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا

وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩]

السادس والعشرون: الدعاء بأن يحفظ الله تعالىٰ لك عينك من آفاتها ومن معاصيها ومن العمىٰ فيها قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤]

وكان من دعاء النبي ﷺ إذا أصبح وأمسىٰ اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدًا ما أحييتنا.

السابع والعشرون: التيقن أنا سَنُسأل عن هذه العين هل ضيعناها؟

هل حفظناها؟

هل أدينا بها طاعة الله؟

قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]

الثامن والعشرون: الحذر من سلب هذه النعمة في الآخرة قد يقول بعض الناس مات فلان ومات فلان ما أصيبوا في أعينهم لاا سلب العين قادمٌ عليهم في الآخرة قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]

التاسع والعشرون: الخوف من شخوص البصر يوم القيامة قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]

أخيرًا الثلاثون: حافظ علىٰ عينك فمهما ترىٰ وتشاهد فإنها ستشهد عليك تذكر مهما ترىٰ وتشاهد فالعين ستشهد عليك قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [فصلت: ١٩-٢٠]

أيها الإخوة والأخوات إن العين طليعة جيش الإنسان فمتىٰ ما كان جيدًا لم يستطع العدو الوصول إليه والولوج إلىٰ داره وقلبه ومتىٰ كان خاملًا أو غافلًا وصل إليه عدوه وتمكن من داره واستأسد عليه وأسر قلبه.

قال العلامة بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا تدليس إبليس: ينصح جنوده ويقول لهم: إذا استوليتم علىٰ هذه الثغور فامنعوا ثغر العين أن يكون نظره اعتبارا، بل اجعلوا نظره تفرجا واستحسانا وتلهيا، فإن استرق نظره عبرة فأفسدوها عليه بنظر الغفلة والاستحسان والشهوة، فإنه أقرب إليه وأعلق بنفسه وأخف عليه، ودونكم ثغر العين، فإن منه تنالون بغيتكم، فإني ما أفسدت بني آدم بشيء مثل النظر، فإني أبذر به في القلب بذر الشهوة، ثم أسقيه بماء الأمنية، ثم لا أزال أعده وأمنيه حتىٰ أقوي عزيمته وأقوده بزمام الشهوة إلىٰ الانخلاع من العصمة، فلا تهملوا أمر هذا الثغر وأفسدوه بحسب استطاعتكم، وهونوا عليه أمره، وقولوا له: مقدار نظرة تدعوك إلىٰ تسبيح الخالق والتأمل لبديع صنيعه، وحسن هذه الصورة التي إنما

خلقت ليستدل بها الناظر عليه، وما خلق الله لك العينين سدىٰ، وما خلق الله هذه الصورة ليحجبها عن النظر).

فلنحذر من تدليس إبليس ولنختم بقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٣-٨]

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحفظ أبصارنا وأن يزيد بصيرتنا وأن يحفظ قلوبنا وأن يمتعنا وإياكم متاعًا حسنا والحمد لله وصل اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.